# دلالة الألوان في شعر ابن عبد ربه الأندلسي

**م.م. وصال قاسم غباش**
**جامعة واسط – كلية الفنون الجميلة**

**الملخص**

لا يخفى على دارس الأدب العربي بشكل عام والأدب الأندلسي بشكل خاص دور الطبيعة في حياة الإنسان ، وتعد الألوان مظهراً من مظاهر الطبيعة وعنصراً هاماً ، فكان هذا البحث محاولة لدراسة (دلالة الألوان في شعر ابن عبد ربه الأندلسي)، إذ عرض البحث لنبذة مختصرة عن حياة الشاعر ،ومن ثم التعريف بمفهوم اللون في اللغة والاصطلاح ، ودور الألوان في الشعر العربي ، وقد وقف البحث على أهم الشواهد التي برز فيها عنصر اللون في ديوانه وتناولها بالدرس والتحليل، وأهم الألوان التي استعملها الشاعر وهي: الأحمر ،والأبيض ، والأسود ، والأخضر، والأصفر ، والأزرق، كما عرض البحث ظاهرة تمازج الألوان، وتداخلها ، وكيف وظفها الشاعر في شعره ، ثم خاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

**Abstract**

It is no secret student of Arabic literature in general and Andalusian literature in particular, the role of nature in human life is the colors manifestation of nature and an important element was this research is an attempt to study the (sign of the colors in the hair Ibn Abd Rabbo Andalusian) as the search view to brief on the poet's life and then definition of the concept of color in the language and terminology and the role of color in Arabic poetry has to stop research on the most important evidence that has emerged in which an element of color in his office and taken the lesson, analysis, and the most important colors used by the poet, a red, white, black, green, yellow and blue as search view the phenomenon of blending colors and overlap and how employed by the poet in Conclusion of the hair and then the most important findings of the research .

**المقدمة**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين أشرف الخلق محمد(ﷺ)،وعلى آله الطيبين الطاهرين .

تعد الألوان مظهراً مهماً من مظاهر الطبيعة وبسبب الطبيعة الأندلسية وجمالها نجد أن شعراء الأندلس قد تغنوا بجمال هذه الطبيعة فكانت الألوان إحدى عناصر تشكيل الصورة الفنية .

ولأهمية الألوان وأثرها في الشعر الأندلسي ارتأيت دراسة دلالاتها عند شاعر من أهم الشعراء في الأندلس فكان هذا البحث بعنوان (دلالة الألوان في شعر ابن عبد ربه الأندلسي) ، وقد عرض البحث لنبذة مختصرة عن حياة الشاعر، والتعريف بمفهوم اللون في اللغة والاصطلاح، وأهميته في الشعر العربي وبعد ذلك تم دراسة الألوان المفردة عند الشاعر وهي على التوالي:الأحمر، والأسود، والأبيض، والأخضر، والأصفر، والأزرق. كما عرض البحث ظاهرة تمازج الألوان وتداخلها، ثم خاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

**حياة الشاعر**

هو أبو عمر أحمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم القرطبي[١] ، ولد في قرطبة عام ٢٠٦ هـ ، ونشأ فيها ، ونال ثقافته على أيدي علماء عصره وأشهرهم: بقي بن مخلد ، وابن وضاح ، والخشني[٢] ، إذ درس على أيديهم مختلف العلوم الشائعة في عصره من أدب، وتاريخ ،ولغة، وفقه، وتفسير، ولهذه الثقافة إثرها في شعره .

كان فقيهاً دارساً، وكان يطرب ويشرب ويلهو في بداية شبابه، وكان محباً للحياة مقبلاً عليها بكل ملذاتها ، وعندما أصبح شيخاً كبيراً زهد هذه الدنيا فعمد في آخر أيامه إلى أشعاره في الغزل والشراب فمحصها ونقضها ، إذ سماها الممحصات[٣] .

لابن عبد ربه مدائح كثيرة ومجموعات كبيرة في مدح مواليه بني أمية آخرها ما جُمع للمستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن ،إذ قال في غزواته وانتصاراته شعراً كثيراً[٤] .

يعد الشاعر رائداً من رواد القرن الرابع وعلماً من أعلامه، وهو من ذوي الملكات المزدوجة من شعر ونثر، فآثاره النثرية والشعرية تتميز بالإبداع إلى جانب تعلقه بجذوره المشرقية إذ اقتبس منها أفكاره[٥] ، واشتهر بكتابه العقد الفريد وهو من

المصادر الهامة لتاريخ الحياة العربية بجوانبها المختلفة فهو يضم بين صفحاته مادة وافرة تشمل مختلف الأخبار والقصص التي يمكن أن توضح حركة تطور المجتمع العربي في ذلك الوقت[٦] .

لقد اكتسب ابن عبد ربه بعلمه وشعره مكانة كبيرة بين علماء عصره وأدبائه، فأعجب المتنبي بشعره ، إذ قال فيه: (لقد تأتيك العراق حبواً)[٧]، وعده الثعالبي (أحد محاسن الأندلس علما، وفضلاً، وأدباً ، ونبلاً ، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة وعليه رونق البلاغة والطلاوة)[٨] ، وقال فيه ابن دحية : (صاحب كتاب العقد الذي انجد وأغار، وملا بذكره الآفاق والأقطار )[٩] .

وعند وفاته سنة (٣٢٨هـ) تجمع في جنازته جمع عظيم راع يحيى ابن هذيل وكان يومئذ صغير السن فعندما سأل : لمن هذه الجنازة ، فقيل لشاعر البلد[١٠] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة ابن عبد ربه في قرطبة[١١] ، وما يتمتع به من شهرة وعلم وفضل عند أهل الأندلس .

**اللون في اللغة والاصطلاح**

تحتل الألوان مساحة كبيرة في حياة الإنسان ، وقد اكتسبت مع مرور الزمن دلالات ثقافية وفنية ودينية ونفسية واجتماعية ورمزية وأسطورية[١٢]، وتعد من أهم مظاهر الطبيعة التي تسترعي انتباه الإنسان .

واللون هيئة، لون كل شيء ، ما فصل بينه وبين غيره والجمع ألوان ، ولونته فتلون . واللون النوع والألوان الضروب، ومنها التغير وعدم الثبات على حال واحدة ،وعندما نقول: فلان متلون ، أي لا يثبت على خلق واحد [١٣] .

وقد نجد كلمة اللون تدل بمعناها الواسع على الكثير من المعاني فهي تشمل مثلاً الإحساس البصري المترتب على اختلاف أطوال الموجات الذي يترتب عليه إحساس العين بألوان مختلفة بادئة بالأحمر ومنتهية باللون البنفسجي[١٤]

وقد احتلت الألوان منزلة مميزة استطاع الإنسان بواسطتها أن يعبر عن انفعاله وقيمه فأكسبها دلالات معينة وجعلها رموزاً متنوعة تنوع آلامه وآماله، الحياة والموت، الأمل والخيبة، الحزن والفرح، الهزيمة والنصر، النور والظلام، الرحمة والقسوة ،الرضا والغضب(١٥).

وإن ما ننعم به من جمال الطبيعة يرجع إلى ما فيها من عناصر وألوان بديعة تمتزج مع بعضها ، وتكون مجموعات جذابة لا تعد ولا تحصى ،وميزنا الله بقدرة المشاهدة والإبصار، واستقبال الألوان، والاستمتاع بها في آن واحد .

وتعد الألوان من الأمور الهامة التي لها مكانة خاصة في حياتنا وهي جزء معقد ومهم من خبراتنا الإدراكية والطبيعية للعالم المرئي(١٦)، والغاية من توظيف اللون في اللوحة الشعرية هو الدقة في التعبير، وإضافة معنى جديد على مجرد اللون مثل تجدد اللون أو ثباته ولمح معنى التشبيه فيه أو المبالغة (١٧).

إن الثقافة اللونية لها أثر مهم في إدراك الألوان بحسها الفني المرهف بشكل يجعلها أكثر انسجاماً وأوضح معنى وامثل وتسمو فتثير الإعجاب في التعبير(١٨)، وهذه الثقافة تدل على ثقافة الشاعر وسعة اطلاعه وقدرته على توظيف الألوان في شعره بشكل يجعل قصيدته أكثر جمالاً .

والقاموس اللوني للشاعر يتعدد ويختلف باختلاف الثقافة والبيئة والتجربة وعمق المشاهدات واتساعها ، فلكل شاعر لغته اللونية ونصه الشعري البصري المبتكر والجديد (١٩).

**اللون الأحمر**

يعد اللون الأحمر من أغنى الألوان دلالة وأكثرها تضارباً، فهو لون البهجة والحزن، وهو لون الثقة بالنفس والتردد والشك ، وهو لون العنف ، ولون المرح إلى غير ذلك من الدلالات الجزئية المتداخلة والمتباينة في آن واحد(٢٠) ،وهو من أكثر

الألوان استعمالاً عند الشاعر ابن عبد ربه ،إذ استعمله الشاعر استعمالات كثيرة وبمعانٍ متنوعة منها قوله :

**إذا اصطفَّت الرّاياتُ حُمراً متونُها ذوائبُها تهفُو فيهفُو لها** القَلْبُ[٢١]

استعمل الشاعر اللون الأحمر للدلالة على لون الدم فكثيراً ما تصطبغ الرايات بالدم للدلالة على الحرب والقتل والانتصار، والشاعر يتخذ من الراية الحمراء رمزاً وشعاراً فيصف بأس وشجاعة القوم .

وقد يأتي استعماله اللون الأحمر للدلالة على الخجل، كما في قوله :

**كَمْ سَوسَنٍ لطفَ الحَياءُ بلونِهِ فأصارَهُ ورداً على وَجَناتِهِ**[٢٢]

بدأ الشاعر وصفه للسوسن بأوصاف نفسية ، إذ جعله أنساناً رقيق الإحساس يراه قد تغير لونه من الحياء والخجل فأصبح ورداً على وجناته، إذ استعمل اللون الأحمر وان لم يذكره بلفظه للدلالة على الخجل والحياء، فالصورة اللونية واضحة في البيت .

وأما قوله :

**ومُعَذّرٍ نَقش الجمالُ بمسكهِ خدّاً لهُ بِدم القُلوبِ مُضَرَّجا**[٢٣]

استعمل الشاعر اللون الأحمر في الغزل ، فأشار إلى تخضبه باللون الأحمر، وان لم يشر له صراحة ، وإنما أشار إلى ذلك بلفظة الدم .

وقد يأتي بسياق الفخر في مجاهدة الأعداء والانتصار عليهم ، كما في قوله :

**تراهُنَّ في نضحِ الدِّماءِ كأنّما كساها عَقيقاً أحمراً ذلك النّضحُ**[٢٤]

أي عندما تكون هذه الخيول مضرجة بالدم نتيجة شدة الحرب والقتل في المعركة كأنما كساها عقيقاً احمراً، فشبه الدماء على الخيول بالعقيق الأحمر دلالة على لونها القاني بسبب شدة المعركة وكثرة الدماء التي تسيل من الفرسان في هذه المعركة .

وقد استعمل اللون الأحمر للدلالة على لون الخمرة وحاملتها بقوله:

**وحاملَةٍ راحاً على راحةِ اليَدِ مورَّدة تَسعى بلونٍ مُوَرَّدِ**[٢٥]

يصف الخمرة وحاملتها فكلاهما مورد مما يدل على استعماله للون الأحمر .

واتخذت الزهور في الشعر الأندلسي مكاناً مميزاً وذلك بسبب طبيعة البيئة الأندلسية وجمالها وكثرة الرياض فيها، فنجده يقول في إحدى قصائده :

**رياحينُ أُهديها لِريحانةِ المَجْدِ جَنتْها يدُ التخجيلِ من حُمرة الخدِّ**

**وَوَرْدٌ به حَيّيتُ غُرّة ماجِدٍ شمائلهُ أذكى نسيماً من الوَرْدِ**

**ووشيُ ربيعٍ مُشرقِ اللّونِ ناضرٍ يلوحُ عليهِ ثوبُ وَشْيٍ من الحمدِ**(٢٦)

الشاعر لم يجد أجمل من الرياحين هدية يهديها لحبيبته التي شبهها بالريحانة، فدلالة اللون واضحة في هذه الأبيات، إذ استعمل اللون الأحمر للدلالة على الخجل والحياء ، إذ تتحول خدودها إلى حمراء بسبب الخجل ، والحمرة في الخدود هي علامة جمال وسحر في وجه المحبوبة، واستعمل الربيع وألوانه المشرقة للدلالة على جمال الطبيعة ورونقها .

أما قوله :

**مُـوَرَّدَةٌ إذا دارتْ ثَلاثاً يُفتِّحُ وردُها وَرْدَ الخُدودِ**(٢٧)

جمع الشاعر بين احمرار الخمر واحمرار خد المحبوبة وبذلك اتخذ اللون الأحمر دلالة على النشوة لأنه جمع بين الخمر وخد المحبوبة .

وقد يأتي اللون الأحمر في سياق الرثاء ، منه قوله في رثاء ابنه :

**فُرَيخٌ من الحُمر الحواصل ما اكتسى من الرّيش حتى ضمّهُ الموتُ والقبرُ**(٢٨)

استعمل الشاعر اللون الأحمر في رثاء ابنه ،إذ استعمل اللون للدلالة على صغر عمر ولده وهذا اللون يوحي بالحرارة والسخونة والحرقة في موقف حزين .

وقد أحب العرب اللون الأحمر في الخدود وبخاصة خدود المرأة ، وهو صفة جمال وحسن وبهاء فيها ، كما انه (علامة على الصحة والعافية والنضارة والحياء)(٢٩)، إذ استعمل الشاعر هذا اللون في وصف الخدود بقوله :

**ما لِخَدَّيْكَ اسْتَعارا حُمَرةَ الوردِ النّضيرْ**(٣٠)

عمد الشاعر إلى وصف خدود المحبوبة باللون الأحمر لإدراكه ما في اللون من مبعث للجمال ، وإثارة لنفس المحب .

وقوله في السقاة والندامى:

**وَرْدِيَّةٌ يحملها شادنٌ في مُشْرَبِ الحُمْرَةِ وَرْدِيِّ**[٣١]

يصف الساقي والخمرة باللون الأحمر وهي صورة مكررة عند ابن عبد ربه

يمكن القول: إن استعمال اللون الأحمر كان يدل على الدم أو لون الخدود .

**اللون الأسود**

اللون الأسود رمز للحزن والألم والموت وهو رمز للخوف من المجهول والميل إلى التكتم ولكونه سلب اللون يدل على العدمية والفناء[٣٢] ، وهو يرتبط بالليل والظلام والهباب والرماد المتخلف عن الحريق ، ويبدو أن ارتباطه بالليل والظلام هو سبب الخوف والتشائم منه[٣٣].

فإذا كان الليل يرتبط بالظلام والخوف والخطر والشدة والقوة والسكون ، فهو يرتبط بالشمول وكثرة العدد ، فعندما يلف الليل المنطقة يأتي على كل شيء فيدخل المنازل ويغطي الساحات، ويعبر السهول والجبال فلا يقف الرائي على حده، ولا يجد مهرباً منه وبعداً عنه ولذا فقد أصبح دليلاً على الكثرة والكثافة[٣٤] .

لذلك كان اللون الأسود يدل على الخوف والشر في كثير من الأحيان، ومن استعمال الشاعر للون الأسود قوله :

**يَقودهُ البدرُ يَسْرِي في كواكبِهِ عَرمَرماً كسوادِ اللّيلِ رَجْراجا** [٣٥]

يصف الشاعر القائد عبد الرحمن الناصر في غزوة المنتلون، فجعل الجيش يقوده هذا القائد الذي شبهه بالبدر ، وجيشه بالكواكب جيشاً كسواد الليل للدلالة على كثرة الجيش وقوته وعدم القدرة على تمييز أعداده .

وكذلك شبه كثرة الجيش بالليل في صورة أخرى بقوله :

**كَتائب تتبارى حولَ رايتِهِ وجحفلٌ كسَوادِ اللّيل جَرّارُ** [٣٦]

استعمل الشاعر سواد الليل للدلالة على كثرة الجيش وعدم القدرة على تمييز أعدادهم شبه كثرة الجيش بالليل الذي يغطي كل شيء ، واستعمل اللون الأسود للدلالة على شدة الظلام التي تحيط بالمكان . وقد ذكر هذه الدلالة أيضاً في قوله :

**فسار في كتائبٍ كالسَّيلِ وعَسكرٍ مثل سَوادِ اللّيلِ**(٣٧)

شبه الشاعر الجيش بسواد الليل بمعنى انه لكثرته يحجب الرؤية ولا تدرك العين آخره مثلما لا تدرك ما وراء سواد الليل لشدة ظلامه .

ويرى النمري أن السمرة تردّ إلى السواد(٣٨) ، ومن استعمال الشاعر لها قوله:

**كأنَّ نهارَهُ ظَلْماءُ ليلٍ كواكُبهُ من السّمرِ اللدّانِ**(٣٩)

لقد غلب اللون الأسود على لون النهار الأبيض ، إذ لكثرة الزحف وعظمة جيش الممدوح غدا النهار ليلاً اسوداً ، ويدل ذلك على القوة والشجاعة التي يتصف بها الممدوح ، وأمام هذا اللون الأسود فقد خبا ضوء النهار ، وذلك ليكون هذا الجيش أكثر دماراً على أعدائه فجعله كالليل ، واستعمل لفظة السمر للدلالة على لمعان الرماح وغالباً ما يستعمل لفظة السمر للدلالة على شدة المعركة فقد شبه النهار بالظلماء والليل، وهذا الليل كواكبه هي هذه الرماح التي تلمع في المعركة.

**سوداءُ تَزْفُرُ من غيظٍ إذا سُعِرَتْ للظّالمِينَ فَلا تُبقي ولا تَذرُ**(٤٠)

استعمل الشاعر اللون الأسود لوصف نار جهنم دلالة الخوف والألم والخوف من المجهول فاستعماله دلالة على الخوف والتشائم

**لَبِسَتْ قَوافي الشّعرِ فيكَ مَدارِعاً سُوداً وصكّتْ أوجُهاً وصُدورا**(٤١)

استعمل الشاعر اللون الأسود في الهجاء إن المهجو لا يستحق أن تقال فيه الأشعار لذلك لبست مدارعاً سوداً .

**اللون الأبيض**

اللـون الأبـيض رمـز الطهـارة والنقـاء والصـدق[٤٢] ، واسـتعمل العـرب اللـون الأبيض للإشراق والإضاءة، واستخدموا البياض مقام المدح بالكرم ونقاء العرض ، واستخدموا بياض الوجه للإشارة إلى نقائه وصفائه وإشراقه[٤٣] .

**ترى المُنيةَ البيضاءَ في كلّ شارقٍ تلبّسُ وجه الشمس ثوباً مُعصفرا[٤٤]**

استعمل الشاعر في وصف المنية اللون الأبيض للدلالة على الإشراق ، إذ يرى أن الشمس تأخذ إشراقها من إشراق هذه الضيعة وجمالها ، ويستعمل اللون الأبيض في صورة أخرى بقوله :

**وصَحائحٍ مَرضى العُيونِ شحائحٍ بيضِ الوُجوهِ نَواعِمِ الأبْشارِ[٤٥]**

فاللون الأبيض في وجه المحبوبة هو سمة جمال تغنى بها الشاعر ، ليظهر المحبوبة في أبهى وأجمل صورة ،وهذه إحدى الدلالات التي أداها اللون الأبيض في الغزل عند الشاعر .

استعمل اللون الأبيض للدلالة على الإشراق والحيوية والنشاط ،كما في قوله:

بَيضاءُ تستَرُ بالحِجالِ وَوَجْهُها كالشمسِ يَسترُ بالضّياء حِجالها[٤٦]

يشبه المرأة البيضاء بالشمس والإشراق ، إذ كثيراً ما يعمد إلى التشبيه بالشمس للدلالة على الإشراق والنصاعة والبياض ،وبهذا يكون الشاعر قد حمل اللون الأبيض أعلى سمات الجمال عندما قرنه بالشمس . ومن الأمثلة التي تدل على خيال خصب قوله :

**بياضُ شَيبٍ قدْ نَصعْ رفعتُهُ فما ارتَفَعْ**

**إذ رأى البيضَ انْقمع من بين يأس وطمع[٤٧]**

لا يمكن أن نغفل ما يشعر به الشاعر من إحساسه بوطأة الزمن ، وظهور الشيب الذي علا رأسه ولا يمكن إزالته ، وشعوره بضعف قوته وخجله أمام شيبه، فاستعمل صورة الشيب التي توحي بتقدم السن وظهور ملامح الضعف أمام النساء

البيض ،فاستعمل اللون الأبيض في البيت الأول للدلالة على الشيب والبيت الثاني استعمل الأبيض للدلالة على جمال النساء وإشراقهن .

**اللون الأخضر**

يعد اللون الأخضر من أكثر الألوان استقراراً ووضوحاً في الدلالة، فهو لون الخصب والنعيم والنماء والزمرد والزبرجد ، وهو قرين الشجرة رمز الحياة والتجدد ، وهو مرتبط بالحقول والحدائق ولذا فهو مرتبط بهدوء الأعصاب[٤٨] .

وبسبب طبيعة الأندلس الخضراء وحدائقها ورياضها الجميلة كان لابد أن نجد هذا اللون حاضراً في شعر ابن عبد ربه الأندلسي، من ذلك قوله في وصف الدنيا :

**ألا إنّما الدّنْيا نضارةُ أيكةٍ إذا اخضرَّ منها جانِب جفَّ جانبُ**[٤٩]

يصف الشاعر الدنيا وكثيراً ما يستعمل اللون الأخضر للدلالة على النضارة والحياة فيرى أن اخضرار جانب من الدنيا قد يودي إلى جفاف جانب آخر، فالشاعر يرى أن الإنسان لا يجب أن تغره الدنيا فهي ليست ثابتة على حال واحدة وإنما متقلبة دائماً .

وقد يدل على الكرم والخير وذلك بقوله :

**ومَن كاد ينْدى الخيزران بكفّهِ ويَنبُتُ في أطرافِهِ الورَقُ الخضرُ**[٥٠]

ارتبط اللون الأخضر في الشعر الأندلسي حول معان ايجابية تتصل بالحيوية والبهجة والبشرى[٥١] ، فقد ارتبط اللون الأخضر في هذا البيت بالكرم والندى دلالة على كرم الممدوح ، فاستعمل اللون الأخضر للدلالة على الحياة والخير والنماء ، فاستعمل الإنبات للدلالة على الحياة .

ويستعمل اللون الأخضر في الهجاء:

**ثم انتمى من فوره ببُشترا فلم يَدَعْ بها قَضيباً أخضرا**

**وحَطّمَ النّباتَ والزُّروعا وهَتَكَ الرِّباعَ والرُّبوعا**[٥٢]

أي انه حرق الزروع وحطم المدينة ولم يجعل فيها شيئاً اخضراً،إذ وفق الشاعر في استعماله للون الأخضر لدلالته على الحياة والنماء ، أي أن المهجو لم يترك أثراً للحياة في تلك المدينة .

فاللون الأخضر ارتبط بالحياة والخصب والنماء عند الشاعر ابن عبد ربه .

**اللون الأصفر**

اللون الأصفر لون متعدد الدلالات وذلك لارتباطه بأشياء طبيعية مختلفة فهو مرتبط بالشمس والذهب والنحاس والطيب وبعض الثمار ، وهذه الأمور توحي بالخير والجمال والتقديس ، وهو مرتبط من جهة ثانية بالنبات الجاف والمرض الذي يعتري الإنسان وما يصحبه من تغير في اللون والشحوب ، وهي أمور توحي بالضعف والانكسار والحزن(٥٣).

واستعمل اللون الأصفر في الأواني مثل الكؤوس التي استعملت لشرب الخمرة وهذا الاستعمال جاء من باب إظهار الثراء والغنى وهو هنا يتحدث عن الخمرة والزجاجة التي تحويها

**وكفٌّ أدارت مُذهبَ اللّونِ أصفَرا بمُذهبةٍ في راحَةِ الكفِّ صفراءِ(٥٤)**

يصف الساقي والخمرة وآثار الخمرة بالصفار انه جعلها من الذهب الشديد اللمعان صفرة ونورانية .

**اللون الأزرق**

وهو من الألوان غير المحددة عند العرب ومن اجل ذلك لم يرد إلا في تعبيرات قليلة وهو من اقل الألوان تداولاً في الشعر العربي(٥٥).

ولـلأزرق دلالات واسعة فالغامق يثير النفور والحقد والكراهية بيد أن الفاتح يرتبط بالماء والسماء فهو لون مناسب للهدوء والبرودة(٥٦). وارتبط اللون الأزرق كلون هادئ بنماذج من وصف الطبيعة عبر صور لونية رائعة تستجلي كل مباهج الجمال

**أهْدَيتُ أزرقْ مَقروناً بزرقاءِ كالماء لم يغذُها شيءٌ سوى الماءِ(٥٧)**

يصف الشاعر في البيت حوتاً ازرقاً مع ماء ازرق دلالة على انعكاس لون السماء في هذا الماء .

**تمازج الألوان**

إن الجمع بين الألوان يحيل القصيدة إلى لوحة نابضة بالحياة فهي لوحة تحاكي الطبيعة بما تجمعه من الألوان المختلفة ، والشعراء عندما يجمعون بين الألوان فإنهم ينقلون لنا صورة حية عن هذه الطبيعة يضاف إلى ذلك قدرة الألوان على تجسيد انفعالات الشاعر المختلفة من قلق واضطراب وخوف من المجهول أو البهجة والأمل وغير ذلك مما يعتمل في نفس الشاعر من الأحاسيس(٥٨)

فالشاعر ابن عبد ربه الأندلسي كثيراً ما يعمد إلى مزج الألوان بدلاً من استعمالها مفردة لكي يعطي للصورة بعداً جمالياً ورونقاً ، من استعماله للون الأبيض مع الأسود قوله :

**أصمّمَ في الغَوايةِ أمْ أنَابا وشيبُ الرأس قد خلسَ الشبابا**
**إذا نصَلَ الخضابُ بكى عليه ويضحك كلَّما وصَلَ الخضابا**
**كأنَّ حمامةً بيضاءَ ظَلّتْ تُقابلُ في مفارِقِهِ غُرابا(٥٩)**

يصف الشاعر الشيب فيقول: إنه إيذاناً بمرحلة جديدة بعيدة عن الغواية بمجرد حلول الشيب مقام الشباب ، فقد يستشعر الشاعر نقصان الحيوية فيبكي شبابه ، ثم شبه الشيب بحمامة بيضاء وهي تقابل في نصل الشعر غراباً اسوداً وهو دلالة على التشائم ، فاستعمل الغراب للدلالة على حالته النفسية المتشائمة نتيجة تقدم العمر ،ويتضح من ذلك الأثر الذي يتركه الشيب في نفس الشاعر من خوف وفزع وذلك لتولي أيام الشباب .

ونجد صورة أخرى للشيب عند الشاعر في قوله :

بجبينٍ مُفْرَغٍ من فضّةٍ فوقَ خَدٍّ مُشربٍ لونَ الذهبْ
كتبَ الدّمعُ بخدِّي عهدَهُ للهوى والشّوقُ يُملي ما كتبْ

ما لِجَهلي ما أراهُ ذَاهباً وسوادُ الرأسِ منّي قد ذَهبْ
قالت الخَنساءُ لمّا جئتُها شابَ بعدي رأس هذا واشتهبْ[٦٠]

يصف الشاعر جبين محبوبته فكأنه بلون الفضة ويضيف فوق خد بلون الذهب دليلاً على بريقه ولمعانه وإشراقه ثم يصف الشباب وذهابه مشيراً إلى سواد رأسه الذي ذهب منه ويرى انه دليل منقصة وعيب وبعد عن الحسان .

ونتيجة لمعاناة الشاعر بسبب ظهور الشيب ،لم يعد يرى ذلك الجمال في الدنيا حتى وصل به الأمر إلى عدم الرغبة في قول الغزل والتشبيب كما كان سابقاً من ذلك قوله :

**وبياضٌ في سوادِ عِذاري بدَّل التشّبيبَ لي بالمَراثي**[٦١]

يصف الشاعر الشيب والشباب فيرى أن تغير الشعر الأسود إلى اللون الأبيض قد غير حالته النفسية ويأسه من الحياة فبدل التشبيب والغزل أصبح يكثر من الرثاء وكل ذلك نتيجة شيبه ويأسه من الحياة ، فمعاناة الشاعر النفسية التي تركها الشيب قد جعلته يبتعد عن الغزل والتشبيب ويكون الشيب رادعاً للشاعر في هذا الأمر ،مما جعل اللون الأبيض يشكل حاجزاً نفسياً عند الشاعر منعه من النظم في الغزل ، وقد برز استسلامه للشيب في استبدال الغزل والتشبيب بالرثاء مما يدل على يأسه من الحياة واستسلامه .

ومن قوله متحسراً على أيام الشباب:

**شبابي كيفَ صرتَ إلى نفادِ وبُدّلْتَ البياضَ منَ السّوادِ**[٦٢]

لقد ارتبط اللون الأبيض عند الشاعر بدلالة الشيب تعبيراً عن القلق والخوف من الشيب ودلالة على حالته النفسية بفقده شبابه وعدم القدرة على التمتع به كما كان سابقاً .

**سوادُ المرءِ تُنفِدُه اللّيالي وإن كانتْ تصيرُ إلى نَفادِ**
**فأسَودُهُ يصيرُ إلى بَياضٍ وأبيضُهُ يعودُ إلى سوادِ**[٦٣]

كثيراً ما يلجأ الشاعر إلى استعمال اللون الأسود والأبيض في التعبير عن حالته النفسية من ظهور الشيب فهو يرى سواد الإنسان أي شعره الأسود ينتهي ويتغير لونه بمرور الليالي وهذه الليالي أيضاً مصدرها إلى نفاد فالشعر الأسود يتحول إلى اللون الأبيض بمرور الأيام

**سودُ المقابرِ أصبحتْ بيضاً بِهِ وغدتْ لهُ بيضُ الضّمائرِ سُودا**(٦٤)

يرثي الشاعر ابنه بهذه الصورة الحزينة فهو يرى أن المقابر السوداء المظلمة قد تغيرت إلى بيضاء مشرقة نتيجة دفن ابنه فيها وأصبحت الأفكار الحزينة تطارد ضمائر أهله وأحبابه فاستعمل اللون الأسود للدلالة على الحزن والكآبة .

**ووجهٌ أعارَ البدرَ حُلّة حاسِدٍ فمن الذي يسوَدُّ في صَفحةِ البَدرِ**(٦٥)

لجأ الشاعر إلى تشبيه البدر بوجه محبوبته فاستعمل البدر للدلالة على الإشراق وهل يكون هناك لون اسود عندما يكون البدر طالعاً .

إن الصورة المتمثلة في تجاور الأبيض والأسود قد أصبحت نموذجاً للجمال يشبهون به كل جميل فهي انعكاس للذوق العربي وحبه للألوان الواضحة المتباينة التي يستمدها من الطبيعة(٦٦) .

**بَدا وضَحُ المشيبِ على عِذاري وهلْ ليلٌ يكونُ بِلا نهارِ**
**وألبَسني النُّهى ثَوباً جَديداً وجَردّني من الثّوبِ المُعارِ**
**شربتُ سوادَ ذا بياضِ فبدلت العمامة بالخمار**(٦٧)

هذا التضاد اللوني بين السواد من جهة والبياض من جهة أخرى يحقق للعين والنفس نوعاً من الانسجام اللوني وقد أكدت كثير من الدراسات في علم النفس (إن انسجام الألوان يتحقق في حالتين إن كانت الألوان متشابهة أو متجانسة وثانيهما إذا كانت متكاملة أو في تضاد قوي )(٦٨) ، في هذه الأبيات الصورة اللونية واضحة جداً ، إذ شبه الليل بالشباب وشبه النهار بالشيب واستعمل الخمار للدلالة على اللون الأبيض والعمامة للدلالة على اللون الأسود .

**جار المشيبُ على رأسٍ فغَّيرَهُ لما رأى الحكّام قد جاروا**
**كأنّما جنَّ ليلٌ في مفارقِهِ فاعتاقهُ من بَياضِ الصَّبح إسْفارُ**[٦٩]

شبه الشباب بالليل لسواده واستعمل الصبح للدلالة على اللون الأبيض وهو الشيب فاستعمل رحيل الليل في المفارق بقدوم بياض الصبح وهو الشيب .

**كأنّ سَوادَ لِمّتِهِ ظَلامٌ أغارَ من المَشيبِ عليه نورُ**[٧٠]

شبه سواد الشعر بالظلام وشبه المشيب بالنور للدلالة على رحيل الشباب وحلول المشيب بدله، فربما أراد الشاعر أن يواسي نفسه إذ شبه المشيب بالنور فاظهر صورة مشرقة للشيب .

ومن الأدوات التي لونها الشعراء بالأسود الرماح مقابل السيف الذي أطلق عليه اسم الأبيض ولعل السبب راجع إلى لون الحديد الذي يستعمل لصناعتها يضاف إلى ذلك رقة السيف وصقله حتى يبدو لامعاً براقاً، أما الرماح فهي كثيفة يدبب رأسها فقط فلا يظهر فيها لمعان السيف وربما كان التركيز على سواده حتى سمي به من باب التأكيد على صلابته ومن ثم قوته وقد ذكر الشعراء الرماح باسم السمر والأسمر والسمراء[٧١].

فالشاعر ابن عبد ربه كثيرا ما يلجأ إلى تسمية السيوف بـ(البيض) وتسمية الرماح بـ (السمر) وقد استعملها كثيراً في وصفه للمعارك منها قوله :

**ومُعترِكٍ ضَنْكٍ تعاطَتْ كُماتُهُ كؤوسَ دماءٍ من كُلىً ومفاصلِ**
**يُديرُونَها راحاً من الرُّوح بينهمْ ببيضِ رقاقٍ أو بسُمرِ ذوابلِ**
**وتُسمِعُهمْ أُم المَنّية وسْطَها غناءَ صليل البِيضِ تحتَ المناصلِ**[٧٢]

استعمل البيض السيوف والسمر الرماح في أثناء استعمال الدماء كؤوس يديرونها بالراح وهي الخمرة وجعلوا الموت كالغناء . وقد ارتبط ذكر السيف باللون الأبيض من ذلك قوله :

**بيضٌ تحلّ القلوبَ سُوداً إذا انْتضى عزمَهُ انْتضَاها**[٧٣]

فقد اكسب السيوف لوناً أبيضاً لامعاً للدلالة على حدتها ولمعانها ، مما يدل على أنها سيوف قوية قاطعة، فهذه السيوف تحل القلوب إلى سود حزينة كئيبة .

**والبيضُ في إثْرهمْ والسُّمْرُ والقَتْلُ ماضٍ فيهمُ والأسرُ**(٧٤)

ونجد الشاعر يمزج اللون الأدهم مع الأصفر في صورة لوصف الخيل في إحدى معاركه

**دُهم كأسدِفةِ الظّلامِ وبعضُها صفرُ المَناظرِ كاصفِرار العاجِ**(٧٥)

يشير الشاعر في هذا البيت إلى الخيول شديدة الدهمة ،وكأنها صبغت باللون الأسود ولذلك فهي كالظلام الشديد وبعضها صفر يصف خيل الجيش بألوانها وقوتها وكثرتها دلالة على أصالتها وقوتها في خوض المعركة .

وفي مدحه للأمير عبد الله في فتح حصن بلاي وذكر غزوته الشهيرة يعمد الشاعر إلى مزج الألوان إذ يقول :

**ومُقْرَبة يشقرُّ في النّقعِ كَمْتُها وتخضرُّ حيناً كلَّما بلَّها الرشَّحُ**(٧٦)

يصف الخيل بأن لونها يشقر في المعركة من غبار المعركة وتخضر حيناً إذا أصابها البلل دلالة على تغير لونها في المعركة أو المطر وهي من الخيول الأصيلة .

ومن الألوان التي مازج بينها الشاعر الأبيض والأحمر ،من ذلك ما وصف به ضيعة قوله :

**هي الزّهرةُ البيضاءُ في الأرض أَلبستْ لها الزهرةُ الحمراء في الجو مِغفرا**(٧٧)

يصف الشاعر منية كنتش وهي ضيعة للأمير محمد بأسفل قرطبة وكانت رائعة الحسن واتخذها موطناً فقد شبهها بالزهرة البيضاء للدلالة على السلام والجمال والنقاء والصفاء ثم استعمل لون الأحمر للدلالة على قوة ساكنيها وتضرج الدروع بالدم

**بيضاء يحمر خداها إذا خجلت كما جرى ذهب في صفحتي ورق**(٧٨)

إن التقاء اللون الأبيض مع الأحمر في هذا الموضع دليل حسن وجمال وبهاء ، اذ استعمل اللون الأبيض للدلالة على بياض حبيبته واللون الأحمر للدلالة على جمالها، فاحمرار الخدود حياء وخجلاً صفة اتصفت بها المحبوبة ، مما أضفى عليها جمالاً ساحراً .

**سداوتُها من ناصعِ اللونِ أبيضٍ ولُحمتها من فاقعِ اللّونِ أصفرا**(٧٩)

السدى هو ما يمد طولاً في النسج إذ استعمل لون الأبيض للسدى واللون الأصفر للدلالة على الإشراق والضياء .

**صُفْرَةٌ في حُمْرَةٍ في خدّهِ جمعتْ روضةَ وردٍ وبَهارِ**(٨٠)

عمد الشاعر في هذا البيت إلى مزج الألوان لتكون صورة لونية جميلة فشبه صفار وحمرة الخدود بروضة جمعت فيها الورود والبهار، والشاعر هنا يخفي وراء إحساسه بالألوان إحساساً بجمال الطبيعة ولا يخفى ما في الورد من تأثير نفسي على الشاعر آثاره تبعث الراحة .

**في الكِلّةِ الصَّفراءِ ريمٌ أبيضُ يَسبي القُلوبَ بمقلَتَيْهِ ويُمرِضُ**(٨١)

يصف الشاعر جمال حبيبته وهي في الكلة الصفراء

**بيضاءُ أنْماها النّعِيمُ بصفرةٍ فكأنّها شَمْسٌ بغَيرِ شُعاعِ**(٨٢)

دائماً الإنسان العربي ومنه الشاعر الأندلسي يفضل المرأة البيضاء المشوبة بالصفار فقد شبهها بالشمس في إشراقها وبريقها .

**وما روضة بالحَزْن حاك لها الندى بُروداً من المَوشِيِّ حمرَ الشّقائقِ**
**يقيمُ الدُّجى أعناقَها ويُميلها شعاعُ الضّحى المستنُّ في كلّ شارقِ**
**إذا ضاحكَتْها الشمس تَبكي بأعينٍ مكّللة الأجفان صُفر الحَمالق**
**حكتْ أرضُها لونَ السّماء، وزانها نجومٌ كأمثالِ النّجومِ الخوافقِ**(٨٣)

يصف الشاعر في الأبيات روضة ، فاستعان الشاعر بهذه الألوان ليظهر صورتها الجمالية ، إذ استعمل الألوان المشرقة حمر الشقائق، وشعاع الضنى،

والإشراق، ثم استعمل الشمس ،والأجفان صفر الحمالق ما غطته الأجفان من بياض المقلة، دلالة على الافتتان بالطبيعة وسحرها .

**الخاتمة**

وفيما يأتي عرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث :

١- الشاعر بما امتلك من خيال واسع وقدرة كبيرة أدرك قيمة الألوان وأثرها في تكوين الصورة الشعرية .

٢- وظف الشاعر الألوان في الأغراض اغلبها .

٣- استعماله للألوان لم يكن بدرجة واحدة ، إذ أكثر من استعمال الألوان الأحمر والأبيض والأسود ، وقلة استعمال اللون الأزرق .

٤- عمد الشاعر إلى مزج الألوان فجاءت الدلالات أكثر عمقاً واتساعاً .

٥- عمد الشاعر إلى توظيف الألوان بدلالات تشابه دلالاتها عند العرب في المشرق .

**الهوامش**

(١) ينظر: تاريخ علماء الأندلس ٨١/١-٨٢ ، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس/١٠١ ، وبغية المتلمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ١٩١/١ ، ووفيات الأعيان ١١٠/١ .

(٢) ينظر: تاريخ علماء الأندلس ٨٢/١ .

(٣) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس /١٠٢ ، وبغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ١٩٢/١ ، الممحصات : هي قصائد نقض فيها كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد محصها بها للتوبة منها والندم عليها وجعلها على اعاريض قصائده وقوافيه في الغزل والشراب ، فقصيدته الغزلية :

هَلاّ ابتكرتَ لبيْن أنت مُبْتِكِرُ  هَيهَات يأبى عليكَ الله والقَدَرُ

نقضها بقصيدته التي أولها :

يا عاجزاً ليس يعفو حين يَقْتَدِرُ  ولا يقضى له من عيشه وطر

(٤) ينظر: المطرب من أشعار أهل المغرب /١٥٤ .

(٥) ينظر: شعر احمد بن عبد ربه الأندلسي دراسة تحليلية /( أ ) المقدمة .

(٦) للمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على كتابه العقد الفريد ، وينظر: دراسة في مصادر الأدب /٢٨٨ .

(٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥٦٥/٣ .

(٨) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٨٥/٢ .

(٩) المطرب من أشعار أهل المغرب /١٥١ .

(١٠) ينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس /١٠٣ .

(١١) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة /١٣٩ .

(١٢) ينظر :الألوان (دورها،تصنيفها ، مصادرها، رمزيتها، دلالتها) / ٩ .

(١٣) ينظر: لسان العرب / مادة(لون) .

(١٤) ينظر: نظرية اللون (مبادئ في التصميم) /٢٠ .

[١٥] ينظر: الألوان (دورها، تصنيفها ، مصادرها، رمزيتها، دلالتها) / ١٠ .

[١٦] ينظر: نظرية اللون (مبادئ في التصميم) /١٠ .

[١٧] ينظر: اللغة واللون /٥٨ .

[١٨] ينظر: دلالة اللون في الحديث النبوي الشريف في صحيحي البخاري ومسلم ، رسالة ماجستير ،حمد محمد فتحي الياس ،كلية الآداب ،جامعة الموصل ،٢٠٠٤ /١٢

[١٩] ينظر: إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة ، د.حيدر محمد جمال سيد احمد ،جامعة دمشق ، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية ،المجلد ٢٠ ،العدد الأول ،يناير ،٢٠١٢ /١٠٢ .

[٢٠] ينظر: اللغة واللون /٢١١-٢١٤ .

[٢١] الديوان /٢٠ .

[٢٢] المصدر نفسه /٣٣ .

[٢٣] المصدر نفسه /٣٨ .

[٢٤] المصدر نفسه / ٤٤ .

[٢٥] المصدر نفسه / ٤٩ .

[٢٦] المصدر نفسه / ٤٩ .

[٢٧] المصدر نفسه / ٥٥ .

[٢٨] المصدر نفسه / ٦٧ .

[٢٩] دلالة الألوان في شعر نزار قباني ،أحمد عبد الله محمد ، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية ،فلسطين ،١٨/٢٠٠٨ .

[٣٠] الديوان / ٨٥ .

[٣١] المصدر نفسه / ١٧٧ .

[٣٢] ينظر: اللغة واللون / ١٦٨ .

[٣٣] ينظر: المصدر نفسه / ٢٠٠-٢٠٥ .

[٣٤] ينظر: اللون وإبعاده في الشعر الجاهلي (شعراء المعلقات نموذجاً )،أمل محمود عبد القادر أبو عون ، رسالة ماجستير ، قسم اللغة العربية ،جامعة النجاح الوطنية ،فلسطين ،٢٠٠٣م /٧٥.

[٣٥] الديوان / ٣٦ .

[٣٦] المصدر نفسه / ٧٣ .
[٣٧] المصدر نفسه /١٩٠ .
[٣٨] ينظر: الملمع /٧ .
[٣٩] الديوان / ١٦٩ .
[٤٠] المصدر نفسه / ٧١ .
[٤١] المصدر نفسه / ٨٠ .
[٤٢] ينظر: اللغة واللون /١٨٥ .
[٤٣] ينظر: المصدر نفسه / ٤١ .
[٤٤] الديوان / ٦٨ .
[٤٥] المصدر نفسه / ٨٢ .
[٤٦] المصدر نفسه / ١٤١ .
[٤٧] المصدر نفسه / ١٠٩ .
[٤٨] ينظر: اللغة واللون / ٢١٠-٢١١ .
[٤٩] الديوان / ٢١ .
[٥٠] المصدر نفسه / ٦٧ .
[٥١] ينظر: صورة اللون في الشعر الأندلسي /٢٠٦ .
[٥٢] الديوان / ١٩٣ .
[٥٣] ينظر: اللغة واللون /١١٤-١١٧ .
[٥٤] الديوان /١٦ .
[٥٥] ينظر: اللغة واللون /٧٨ .
[٥٦] ينظر: المصدر نفسه /١٦٤ .
[٥٧] الديوان /١٦ .
[٥٨] ينظر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي /١٢٦ .
[٥٩] الديوان /٢٤-٢٥ .
[٦٠] المصدر نفسه /٢٩ .
[٦١] المصدر نفسه /٣٤ .

[٦٢] المصدر نفسه /٥٥ .
[٦٣] المصدر نفسه /٥٧ .
[٦٤] المصدر نفسه / ٥٨ .
[٦٥] المصدر نفسه /٦٩ .
[٦٦] صورة اللون في الشعر الأندلسي /٤٤ .
[٦٧] الديوان /٧٨-٧٩ .
[٦٨] اللغة واللون /١٣٦ .
[٦٩] الديوان /٧٤ .
[٧٠] المصدر نفسه /٧٦ .
[٧١] ينظر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي /٧٤ .
[٧٢] الديوان / ١٣٤ .
[٧٣] المصدر نفسه / ١٧٣ .
[٧٤] المصدر نفسه /١٩٥ .
[٧٥] المصدر نفسه /٤٠ .
[٧٦] المصدر نفسه /٤٣ .
[٧٧] المصدر نفسه / ٦٨ .
[٧٨] المصدر نفسه / ١١٧ .
[٧٩] المصدر نفسه / ٦٩ .
[٨٠] المصدر نفسه / ٨٤ .
[٨١] المصدر نفسه / ١٠٠ .
[٨٢] المصدر نفسه / ١٠٨ .
[٨٣] المصدر نفسه / ١١٥-١١٦ .